ملخص خطبة الجمعة ٢٠٢٣/٤/٧م

يقول حضرته: حين أكمل الله ﷻ الدين والشريعة على النبي ﷺ أعلن في القرآن الكريم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

إذن قد أعلن الله ﷻ بهذه الآية أن بقاء الإنسان منوط بهذا التعليم فقط، وأن هذا التعليم يخص كلَّ زمن وكلَّ إنسان في العالم.

قال المعترضون لسيدنا المسيح الموعود عليه السلام: إذا كنت تعتقد بذلك وأنك تؤمن بأن القرآن الكريم شريعة أخيرة وأن النبي ﷺ هو النبي الأخير، فما قيمة دعواك؟ فقد رد حضرته عليه السلام: لو كنتم عاملين بتعليم الإسلام لكان قولكم صوابا وما كانت ثمة حاجةٌ لبعثتي، لكن حالة العصر عموما وأوضاع المسلمين خصوصا تعلن أن ثمة حاجة لمعلِّم. ثم كان النبي ﷺ نفسه قد قال بأن هذا التعليم سيُنسى وأنه سيأتي على رأس كل قرن من يجدده، وأنه في الزمن الأخير سيُبعث المسيح الموعود والمهدي ليُنزل الدين من الثريا إلى الأرض. فقد قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في أدبياته وكتاباته وكتبه، **إنه قد جاء خادما تابعا للنبي ﷺ لنشر شريعته ودينه وتعليمِ القرآن الكريم في العالم، وأن الدين قد اكتمل بواسطة النبي ﷺ وأنه جاء لإيصاله وتعليمه إلى كل بقاع العالم.**

وفي بيان محاسن القرآن الكريم ومزاياه يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: من الثابت المتحقق أن القرآن قد أدّى حق إكمال الدين على أحسن وجه كما يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾. إذًا، لا يوجد لكتاب بعد القرآن الكريم موطئ قدم لأنه قد بيّن كل ما كان البشر بحاجة إليه. أما الآن فلم يبق إلا باب المكالمات الإلهية فقط مفتوحا.

لما كان القرآن كتابا كاملا فقد انفتحت باتباعه واتباعٍ كاملٍ للنبي ﷺ سبل إنشاء العلاقة بالله ﷻ. وليس ثمة وسيلة سواها، وقال حضرته عليه السلام إنه هو الآخر حظي بهذه المكانة بهذا الطريق.

القرآن الكريم لا يريد أن يترك الإنسان السيئات فقط، بل يريد أن يخلق في الإنسان الكمالات من أسمى الدرجات والأخلاق الفاضلة، للفوز برضوان الله ﷻ.

ثم يقول حضرته عليه السلام بدأ وحي الله منذ آدم عليه السلام كبذرة، وقد بلغت تلك البذرة لشريعة الله كمالها في زمن القرآن الكريم وصارت دوحة عظيمة. فلأن الكتاب الكامل كان من المفروض أن ينزل ويقوم بإصلاح كامل، فكان لزاما أن يوجد عند نزوله وفي مهد نزوله الأمراض بكل أنواعها وأشكالها، ليتيسر علاجٌ كامل

لكل مرض وسقم. ومن أجل ذلك وُجد في هذه الجزيرة (أي جزيرة العرب) المصابون بكل تلك الأسقام الروحانية التي كانت متفشية في ذلك العصر أو كانت ستصيب الأجيال في المستقبل.

لا بد أن يكون كلام الله تعالى أعلى وأفضل وعديم المثال من حيث كمالاته الظاهرية والباطنية مقارنة مع كلام الإنسان، لأنه من المستحيل تماما أن يتساوى علم أحد مع علم الله التام. فقد قال الله تعالى مشيرا إلى هذه الحقيقة: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ﴾ بتعبير آخر أنه لا يمكن أن يُشبّه علم الله تعالى -لكونه الكامل والجامع- بعلم الإنسان الناقص. (البراهين الأحمدية)

فالقرآن وحده يدعي أنه كامل من جميع النواحي ولا يمكن لأحد أن يبارزه فلم يبارزه أحد إلى الآن ولن يبارزه في المستقبل أيضا. ثم بين حضرته عليه السلام أن القرآن الكريم وحده يوصل المرء إلى كمال المراتب العملية بالإضافة إلى المراتب العلمية. فقال عليه السلام:

إن القرآن الكريم كما يوصل إلى أعلى درجات الإيمان من حيث المراتب العلمية، كذلك تُنال كمالات المراتب العملية أيضا بواسطة القرآن الكريم وحده. وظلت آثار القبول عند الله وأنوارها تظهر ولا تزال تظهر في الذين اتبعوا هذا الكلام المقدس، ولا تظهر في غيرهم قط. ففي هذا الدليل الذي يستطيع طالب حق مشاهدته بأم عينه كفاية له.

قال عليه السلام: أظهر القرآن الكريم فصاحته وبلاغته بالتزام الصدق والحكمة والضرورة الحقة وأحاط بجميع الحقائق الدينية بكمال الإيجاز. فهو يزخر بالبراهين الساطعة لإسكات كل مخالف ومنكر، ويتراءى بحر عميق وشفاف من آلاف الدقائقِ والحقائقِ زخارا لتكميل يقين المؤمنين، ويسعى لإصلاح كل ما رأى فيه الفساد.

ثم قال عليه السلام في موضع آخر وهو يبين كمال إيجاز القرآن الكريم:

لو قرأ أي منصف القرآن الكريم لعلم فورا أنه قد بلغ القمة في إيجاز الكلام وفي بيانٍ قلّ ودلّ، وهو شرط واجب للبلاغة.

ثم قال عليه السلام: إنما المؤمن في نظرنا من يتبع القرآن الكريم اتباعا صادقا، وآمن بأن القرآن الكريم خاتم الكتب، وآمن بأن الشريعة التي جاء بها النبي ﷺ هي وحدها باقية للأبد، ولم يغير فيها نقطة ولا حركة، ويفني نفسه بالتفاني في اتباعها، ويوظف كل عضو من جسمه في العمل بها ولا يعارضها عملا وعلما، عندها يعد مسلما حقا. (الملفوظات)

ثم قال عليه السلام عن كون القرآن الكريم كتابا أخيرا: "نزل القرآن الكريم في زمن ظهرت فيه كافة الحاجات التي كان ظهورها ممكنا.. وكان الإفراط والتفريط والفساد من كل نوع قد بلغ منتهاه، فجاءت تعاليم القرآن أيضا في ذروتها. فبهذا المعنى صارت شريعة القرآن الكريم مُختتمة ومكمِّلة.

ثم يقول عليه السلام: إن ما هو ضروري للنجاة -كما قاله الله مرة بعد أخرى- هو أولاً أن يؤمن المرء بصدق القلب بأن الله هو وحده لا شريك له، ويوقن بأن النبي ﷺ نبي صادق، وأن القرآن الكريم كتاب الله، وأنه لم ولن يأتي كتاب أو شرع بعده إلى يوم القيامة.

ثم يقول عليه السلام بشأن عظمة الوحي القرآني: إنه معجزة لا يأتي بمثله أحدٌ من الإنس والجان. وإنه جمع معارف ومحاسن لا يجمعها علم الإنسان. بل إنه وحيٌ ليس كمثله غيره وإنْ كان بعده وحيا آخر من الرحمان. فإن لله تجلّياتٍ في إيحائه، وإنه ما تجلّى من قبل ولا يتجلّى من بعد كمثل تجلّيه لخاتم أنبيائه. ثم يقول حضرته عليه السلام ما نصه العربي:

ولعنةُ الله على مَن أنكر بإعجاز القرآن وجوهرِ حُسامه، وتفرُّدِ دُرّة كَلِمه ونظامه. ووالله إنّا نشرب من عينه، ونتزين بزينه، ولذلك يسعى على كلامنا نور وصفاء، وفي نُطقنا يَبهَرُ لمعانٌ وضياء، وبركة شفاء، وطلاوة وبهاء. وليس عليّ منّةُ أحدٍ من غير الفرقان، وإنّه ربّاني بتربية لا يضائها الأبوان، وسقاني الله به مَعينا، ووجدناه منيرا ومُعينا.

يقول عليه السلام عن تعليم سام جاء في القرآن الكريم عن إقامة العدل: "تعرفون كم هو صعب العدل في المعاملات مع القوم الذين يؤذون بغير حق ويعذّبون ويسفكون الدماء ويلاحقون ويقتلون الأطفال والنساء ولا يرتدعون عن شن الحروب كما فعل كفار مكة، ولكن القرآن الكريم لم يضيّع حقوق الأعداء العطاشى للدماء أيضا وأوصى بالتمسك بالعدل والصدق."

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام في مكان آخر: لا يجوز الاكتفاء بسماع القرآن الكريم فقط لأن فيه أدلة عقلية عظيمة لتفهيم الناس. وليس في المعتقدات والمبادئ والأحكام التي قدّمها القرآن أيّ جبرٍ أو إكراه.

يقول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ فالقرآن يقدم الدليل على كل شيء، ثم يوجه إلى الطاعة.

ثم قال عليه السلام معلنا بكمال تعليم القرآن ومتحديا العالَـــمَ بهذا الشأن: إن ربنا العالم بما في الصدور يشهد على أنه لو أثبت أحد عيبا في تعليم القرآن الكريم بقدر الجزء الألف من الذرة أو استطاع مقابل

ذلك أن يثبت بقدر ذرة في أيّ كتاب له ميزةً تخالف تعليم القرآن الكريم أو أفضل منه لكنت جاهزا لقبول الموت بالإعدام.

مبادئ النجاة فيه مبنية على الصدق والحق وواقع الحال تماما، ومعتقداته كاملة ومُحكَمة بحيث تشهد البراهين القوية على صدقها، وأوامره قائمة على الحق المحض، وتعاليمه منـــزّهة تماما من شوائب الشرك والبدعة وعبادة الخلق بكل أنواعها، وفيه الحماس البالغ منتهاه لإظهار توحيد الله وعظمته وكماله ﷻ، وميزته الفريدة أنه زاخر بتوكيد وحدانية الله تعالى تماما ولا يصم الله تعالى بوصمة نقص أو عيب أو أية صفة سلبية، ولا يريد أن يَفرض على أحد أي معتقدٍ قهرا بل يبين أدلة صدق تعاليمه أولا، ويثبت كل مطلب وهدف بالحجج والبراهين، ويبين بأدلة واضحة صدق كل مبدأ بوضوح تام، ويوصل إلى مرتبة اليقين الكامل والمعرفة التامة، ويزيل بالبراهين الساطعة كل المساوئ والشوائب والمثالب وأنواع الخلل التي تسرَّبت إلى معتقدات الناس وأعمالهم وأقوالهم وأفعالهم، ويعلّم جميع الآداب التي لا بد للمرء من تعلُّمها ليكون إنسانا على وجه الحقيقة. إن تعليمه مستقيم وقوي وسليم تماما وكأنه مرآة لأحكام الطبيعة وصورة انعكاسية لقانون الفطرة، وهو لبصارة القلب وبصيرته كشمس تُبهر العيون، ويفصّل ما أجمله العقل ويجبُر ما فيه من نقص.

ندعو الله تعالى أن يوفقنا للعمل بالقرآن الكريم وتعليمه على وجه الحقيقة، ويوفقنا لفهمه وجعْل حياتنا بحسبه. ثم وجهنا حضرته إلى ضرورة الدعاء في هذه الأيام لاجتناب شر معارضي الجماعة، وأن يكف الله يد كل شرير ويبطش بهم. وأكثروا من الدعاء ليجنّب الله العالم الفتنةَ والفساد بوجه عام وليقنذ الله الفلسطينيين من الظالمين.وأن يفتح الله تعالى علينا في رمضان الحالي أبواب رحمته وبركاته أكثر من ذي قبل.